

الاتصال البيداغوجي وتجليات العنف الرمزي في الوسط
المدرسي في الجزائر - دراسة ميدانية على عينة من أساتذة
التعليم بأطواره الثلاثة -

*Pedagogical communication and manifestations of
symbolic violence in Algeria's school environment
Field study on a sample of three-level teaching
professors*

حنان عمرون^{1*}، نجية مزيان²

¹ جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، amroun.hanene@univ-alger3.dz

² جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، Mezianenadjia1970@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/30

تاريخ القبول: 2023/05/31

تاريخ الإستلام: 2023/03/26

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة فهم ظاهرة العنف الرمزي في السياق التربوي التعليمي
المدرسة الجزائرية وذلك من خلال تسليط الضوء على التفاعلات التي تحدث في إطار العقد
البيداغوجي معلم/ متعلم ضمن العملية التعليمية في المدرسة الجزائرية.

يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الدراسات الميدانية الوصفية، اعتمدنا في إنجازها
على منهج المسح الاجتماعي من خلال أداة الاستبيان التي تم توزيعها على عينة متاحة من
أساتذة التعليم الابتدائي، حيث بلغ حجم العينة 50 أستاذ من مختلف الأطوار التعليمية
الثلاث بولاية الجزائر العاصمة.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، التواصل البيداغوجي، العنف رمزي، العنف مدرسي،

معلم، متعلم.

Abstract: This study aimed at trying to understand the phenomenon of
symbolic violence in the educational context of the Algerian school by

highlighting the interactions that take place within the framework of the pedagogical decade as a teacher/learner within the educational process of the Algerian school.

This study can be classified as part of the field studies. In its completion, we have relied on the social survey curriculum through the questionnaire tool, which has been distributed to a sample available of primary education professors. The sample has reached 50 teachers from all three levels of education in Algiers.

Keywords: School, pedagogical communication, symbolic violence, school violence, teacher, learner.

مقدمة

تعتبر المدرسة - من المنظور البنائي الوظيفي- ذلك النسق الاجتماعي الذي يتولى جملة من الوظائف أبرزها وظيفة التنشئة الاجتماعية للفرد، بما تشتمل عليه من جوانب تربوية وتعليمية ضمن نظام مخطط وهادف يخضع لسياسات إدارية، مالية، تربوية، وتعليمية معينة ويعمل في إطار محددات سلوكية وسياسات ثقافية واقتصادية تتصل بطبيعة المجتمع نفسه، حيث يؤدي الاتصال البيداغوجي دورا محوريا في تحقيقها، على اعتبار أنه الوسيلة الأساس والوحيدة لربط العلاقات بين مختلف أشكال الفواعل التربويين (إداريين، أساتذة، تلاميذ وحتى الأولياء).

إن النظام العلائقي في النسق المدرسي، خاصة في مفهومه التقليدي جعلها تتحول إلى فضاء مفعم بالصراع الاجتماعي. بعبارة أخرى، البيئة المدرسية أصبحت تشهد أنماط سلوكية تنحرف عن الطبيعة الأساسية التي وضعت لأجلها، نخص بالحديث "ظاهرة العنف المدرسي".

يمثل العنف المدرسي، مجموعة من السلوكات العدوانية التي تصدر عن العناصر البشرية المكونة للنسق المدرسي وفي مستويات مختلفة بين التلاميذ من جهة، وبين الأساتذة والتلاميذ من جهة ثانية وحتى بين الأولياء والأساتذة. كما تجدر الإشارة أن العنف المدرسي يتخذ أشكال مختلفة: جسدي، لفظي، نفسي وحتى العنف الرمزي.

في الجزائر، عرفت المدرسة إصلاحات كثيرة هدفت إلى محاربة العنف المدرسي بكل أشكاله سابقة الذكر، حيث اتخذت استراتيجيات عديدة: منها ما هو اقتصادي متعلق بتحسين وضعية المعلم المعيشية، وتوفير الهياكل الدراسية. ومنها ما هو بيداغوجي من خلال السعي المتواصل لتحسين طرق التدريس بجعلها مواكبة للمعايير العالمية. ومنها ما هو قانوني أو تنظيمي بعبارة أصح، مثلما تشير إليه مراسلة وزير التربية رقم 09/002 المؤرخة في 10 مارس 2009.

على الرغم من ذلك، بقيت ظاهرة العنف الرمزي في الوسط المدرسي غائبة عن تلك في سياسة الإصلاحات التربوية التي مست المدرسة الجزائرية، الأمر الذي يرجع ربما للطبيعة اللامرئية لها الشكل من أشكال العنف.

العنف الرمزي هذا المفهوم الذي أسس له بيير بورديو، والذي يعد وفقاً لما ورد في العديد من المراجع حجر الزاوية في أطروحات بيير بورديو، حيث بذل جهوداً للتأكيد على أن العنف الرمزي ليس عملاً عمداً من قبل قوة مهيمنة، بل هو تعزيز غير واعي للوضع الراهن الذي يُنظر إليه على أنه "القاعدة" من قبل أولئك الموجودين داخل تلك الطبقة الاجتماعية.

المدرسة أيضاً بوصفها أحد القضايا التي يركز عليها علم اجتماع التربية، احتلت جزءاً معتبراً من أعمال بورديو، حيث كانت محل نقد واسع في مؤلفاته حيث اعتبرها امتداد للحقل السياسي ف"يربط بيير بورديو المدرسة كمكان لإقرار التدابير السياسية لطبقة المهيمنة، ذلك أن المدرسة تمثل أداة لإنتاج وإعادة إنتاج نفس التدابير الثقافية التي تحدد تصنيفاً بتراتبية العلاقات الاجتماعية فلا يمكن إذن أن نفترض الحياد المطلق لأنظمة التعليم إن الحديث عن العلاقة بين المدرسة والطبقات المهيمنة، يذهب بنا إلى ربط المدرسة بمصلحة تلك الطبقات في إعادة إنتاج بنية العلاقات داخل الطبقات، ودور السوسيولوجي في نظره هو التحليل بين الفاعلين داخل كل من الحقلين، المدرسي والسياسي، بمعنى: أن المدرسة أداة في يد الدولة والتي تخدم الأهداف الخفية والمصالح الطبقية" (مصطفى، 2011)

ومنه، فالسلطة الرمزية القائمة في الحقل التربوي- حسب بورديو- تعدّ سلطة شرعية، وتأخذ طابعاً شفافاً في مجال العلاقات القائمة بين الأفراد، فالفاعليات والممارسات التربوية الطبقية الخفية تأخذ طابعاً رمزياً يتمثل في توظيفات رمزية خفية لرأس المال الرمزي والسلطة الرمزية، والأهم في ذلك أن العنف الرمزي يشكل الطاقة الحيوية في بلورة الدور الأيديولوجي الطبقي للمدرسة المعاصرة. وهنا تكمن أهمية المنهج الخفي للمدرسة أو للنظام التعليمي؛ إذ يأخذ الفعل التربوي صورة

عنف رمزي، وهو نوع من العنف الذي يسمح للطبقة المهيمنة بأن تفرض على الطبقات الأخرى هيمنتها الثقافية بوصفها النموذج المثالي الوحيد الذي يكتسب مشروعياته التربوية. ويطلق بورديو على هذه العملية الرمزية للعنف مفهوم (الاعتباط الثقافي أو التعسف الثقافي) «arbitraire culturel» لأنه لا يمتلك أساس موضوعياً مشروعاً لوجوده، ومن ثم لا يوجد هناك ما يبرر هذه الفوقية الثقافية لثقافة الطبقة السائدة في المجتمع. (وظفة، 2022)

نستنتج مما سبق أن المدرسة تشكل فضاء اجتماعيا (ذو أبعاد أيديولوجية وسياسية وثقافية) خصبا لممارسة العنف الرمزي من طرف فاعلين كثر. وهو ما دفعنا للتساؤل حول مظاهر العنف الرمزي في التفاعلات البيداغوجية داخل النسق المدرسي في الجزائري؟ وهل يدرك الأستاذ تلك المظاهر في ممارساته التربوية في إطار علاقاته المهنية بزملائه وبتلاميذه وبإدارته وبأولياء التلاميذ؟

وعليه، يمكن القول بأن دراستنا هذه انطلقت من إشكالية جوهرية مفادها. ماهي مظاهر العنف الرمزي خلال عملية التواصل البيداغوجي في المدرسة الجزائرية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل كان لابد علينا تفكيكه إلى أسئلة فرعية، كالتالي:

- هل يدرك المعلم وجود ممارسة عنف رمزي داخل المدرسة؟
- ماهي أشكال تلك الممارسات؟
- وماهي مستوياتها؟
- ماهي أسبابها؟
- ماهي نتائجها؟
- وماهي الأساليب التي يتبعها المعلم لتفاديها والحد منها؟

I. تحديد مفاهيم الدراسة :

1.I - العنف :

I.1.1 العنف في اللغة:

في اللغات الأجنبية كلمة عنف violence هي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية violoentia وتعني الإظهار العفوي وغير المراقب للقوة، أي كرد فعل على استخدام القوة المتعمدة من طرف شخص معين، ويشترك مفهوم العنف في الانجليزية من المصدر to violate بمعنى ينتهك أو يتعدى. (الخولي، 2008، صفحة 66) وقد جاء في القاموس الفرنسي المعاصر Le Robert العنف هو:

- التأثير على الفرد أو إرغامه على عمل دون إرادته، وذلك باستعمال القوة أو اللجوء إلى التهديد.
- العنف هو الفعل أو العمل الذي من خلاله يمارس العنف.
- القوة الظاهرة للأشياء.

- السمات العنيفة لفعل ما، والفعل هو violare في اللاتينية ويعني العمل بخشونة والعنف أو التدنيس والانتهاك والمخالفة. (Michaud, 1988, p. 3) أما في اللغة العربية، فقد جاء في معجم لسلن العرب لابن المنصور بأن العنف هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق وأعنف الأمر أخذه سنده والتعنيف هو التعبير والتفريغ واللوم"، ويعرفه المعجم العربي الأساسي: بأنه "استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون" (المزاوي، 2010، صفحة 70)

I.2.1 العنف اصطلاحا:

هو السلوك الذي يتضمن استخدام القوة في الاعتداء على شخص دون إرادته أو الإتيان أو الامتناع عن فعل قول من شأنه أن يسيء إلى ذلك الشخص ويسبب له ضررا جسمانيا أو نفسيا أو اجتماعيا. (المحمود و البشير، 2005، صفحة 13)

I. 3.1 العنف إجرائيا:

كل سلوك من شأنه إلحاق الأذى بالآخر، سواء كان الأذى جسديا، أو نفسيا. ملموسا أو غير ملموس.

I. 2 – العنف المدرسي

I. 2.1 اصطلاحا:

هو كل تصرف يصدر عن التلميذ اتجاه الآخرين أو اتجاه المعلم وممتلكات المدرسة أو يصدر من المعلم اتجاه التلميذ ويؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون الأذى جسميا أو نفسيا، فالسخرية والاستهزاء من الفرد وفرض الآراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة. (النيرب، 2008، صفحة 07)

II. 2.2 إجرائيا:

كل سلوك عدواني قد يصدر عن المعلم أو عن التلميذ أو عن الإدارة المدرسية تجاه المعلم أو التلميذ أو الإدارة المدرسية، ويشمل العنف اللفظي والجسدي والنفسي والرمزي.

I. 3 – العنف الرمزي:

I. 3.1 اصطلاحا:

يعرف بورديو العنف الرمزي في كتابه (الحس العملي) بأنه: "عنف ناعم خفي غير مرئي، وهو خفي مجهول من قبل ممارسيه وضحاياه في آن واحد، ويتجلى هذا العنف في ممارسات قيمية ووجدانية وأخلاقية وثقافية، ويوظف أدواته الرمزية، مثل: اللغة، والصورة، والإشارات، والدلالات، والمعاني، وكثيرا ما يتجلى هذا العنف في ظلال ممارسة رمزية أخلاقية ضد ضحاياه" (Bourdieu, 1980, p. 219)

فبالنسبة لبوردديو، يعني العنف الرمزي استخدام الرموز والدلالات والمعاني التي يتم التعبير عنها بأشكال مختلفة منها الإيحاءات، الإشارات، إيماءات تستهدف إيذاء

الآخرين والسيطرة على وممارسة الهيمنة عليهم. هذا النوع من العنف إذا يوظف صور رمزية خفية غامضة تمكن مرتكبيه من تحقيق أهدافهم المنشودة من السيطرة دون اللجوء إلى القوة العلنية أو العنف بأشكاله المادية. وهذا يعني أن العنف الرمزي يقوم على عملية فرض الأفكار وأنظمة المعتقدات الاجتماعية القدرة على إنتاج حالة من الإذعان والخضوع للآخرين، وهذا العنف يعتمد على توليد المعتقدات وأنماط الخطاب التي تمكنهم من السيطرة على بعضهم البعض وتطبيعهم ثقافيًا وأيديولوجيًا.

من أجل تقديم تصور بسيط للعنف الرمزي، وتحديد سماته ودلالاته وخصائصه، يمكن مقارنته بالعنف الفيزيائي أو المادي من حيث الآثار التي يتركها كل منهما: فالعنف المادي يلحق الضرر بالموضوع (الذي يمارس عليه العنف) فيزيائيا في البدن، أو في الحقوق، أو في المصالح أو في الأمن... إلخ. أما العنف الرمزي، فيلحق ذلك الضرر بالموضوع سيكولوجيا: في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة، والكرامة والاعتبار، والتوازن. حيث ولا يقل العنف الرمزي عن العنف المادي في فداحة العواقب، وهو وإن لم يكن يمس حق الحياة لدى الفرد والجماعة -كما هو شأن العنف المادي أحيانا- فإنه قد يصيب المتعرض له فيما قد يكون مقدسا لديه، بل قد يكون هذا الضرب من العنف مرحلة نحو ممارسة العنف المادي، وعلى العموم، لا يختلف معنى العنف في هذا النوع عن معناه في الثاني وهو: انتزاع المطالب بالقوة، وإكراه الآخر على التنازل عنها أو الاعتراف بها. (عبدالإله، 1996، صفحة 72)

أما بالنسبة لعلماء النفس فيعرفونه على أنه عنف تسلطي وذو قدرة يتمتع بها صاحب هذا النوع من العنف والمتمثل في استخدام بعض الطرق الرمزية والتعبيرية تحدث آثار نفسية وعقلية واجتماعية وهذا العنف غير لفظي كاحتقار الآخرين أو عدم النظر إلى الشخص الموجه له العداء أو ازدراءه وتحقيره أو أي إشارة غير لفظية وانما تدل على الرمزية وتعني إثارة الشخص الموجه له النظر أو الإشارة أو الرمز. (الشهري، 2008-2009، صفحة 19)

I. 2.3. إجراءات:

أما إجراءات، فنعرفه على أنه كافة أشكال العنف القائم على الرموز ذات الدلالة القيمية والتي تمارس في إطار عملية الاتصال البيداغوجي بين كافة الأطراف الفاعلة في المدرسة الجزائرية على اختلاف مستوياتهم والتي يمكن أن تؤثر سلبا على الصحة النفسية والجسدية وتعيد إنتاج أنماط تعسفية أخرى تكون لها نتائج غير مرغوبة على الأهداف التعليمية التربوية الموكلة على عاتق المدرسة.

II- الطرق والأدوات

اعتمدت الباحثتان في إجراء هذه الدراسة على المنهج المسحي الذي يعرف على أنه "الطريقة العلمية، التي تمكن الباحث من التعرف على الظاهرة المدروسة، من حيث العوامل المكونة لها والعلاقات السائدة داخلها كما هي في الحيز الواقعي، وضمن ظروفها الطبيعية غير المصطنعة، من خلال جمع المعلومات والبيانات المحققة لها" (الهييتي، 1983، صفحة 17) لغرض جمع البيانات من المبحوثين.

استخدمت الباحثتان أداة الاستبيان الإلكتروني لغرض جمع البيانات من المبحوثين، باعتبار الاستبيان أو الاستقصاء أو الاستفتاء أسلوب جمع البيانات الذي يستهدف استشارة المبحوثين بطريقة منهجية ومقننة لتقديم حقائق وآراء معينة في إطار البيانات المرتبطة بموضوع الدراسة.

إذا، اعتمدت الباحثتان في إنجاز هذه الورقة البحثية على منهج المسح بالمعينة، نظرا لضخامة حجم المجتمع الأصلي للدراسة واستحالة تطبيق أداة الدراسة على جميع مفرداته لما يتطلبه ذلك من وقت وجهد وإمكانات مالية ومادية مرتفعة جدا، حيث يتكون مجتمع البحث الأصلي من مجموع الأساتذة التعليم الابتدائي، المتوسط والثانوي بمختلف رتبهم، عبر كامل التراب الجزائري.

وعليه قامت الباحثة بتصميم أداة الاستبيان الإلكتروني باستخدام منصة GOOGLE FORM وتوزيعها على عينة حجمها 50 أستاذ بطريقتي كرة الثلج وفقا للإجراءات المنهجية التي يفرضها هذا النمط من المعاينة وذلك باختيار المفردة الأولى قصديا، التي قامت بالإجابة عن الاستبيان وإعادة توزيعه على نطاق أوسع على عدد أكبر من المفردات حيث قاموا بدورهم بالإجابة عن الاستبيان وتوزيعه على زملائهم وأصدقائهم ومعارفهم من الأساتذة عن طريق مشاركة رابط الاستبيان على الويب بواسطة موقع التواصل الاجتماعي فاسبوك، تطبيق فاير والبريد الإلكتروني. رابط الاستبيان الإلكتروني:

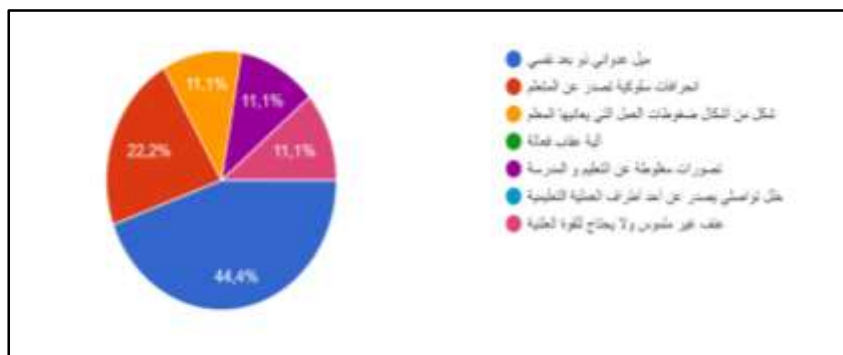
<https://docs.google.com/forms/d/1TH5W4jCTfb62o1AK5sjcG7LWRxoDty5Qhvdv07cNcOWU/prefill>

حيث قامت الباحثتان بتقسيم الاستبيان إلى خمس (6) محاور إلى جانب محور البيانات الشخصية، بما يتناسب والتساؤلات الفرعية للدراسة وتضمنت هذه المحاور 17 سؤالا، تنوعت بين أسئلة متعددة الخيارات والأسئلة المفتوحة بالإضافة إلى الأسئلة المغلقة، حيث حرصت على وضوح الأسئلة بالنسبة للمبحوثين، مع مراعاة أن تكون الأسئلة مباشرة ومبنية على المؤشرات التي تم استخلاصها من متغيرات الدراسة.

III- تحليل وتفسير البيانات :

1. إدراك المبحوثين لمفهوم العنف الرمزي:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



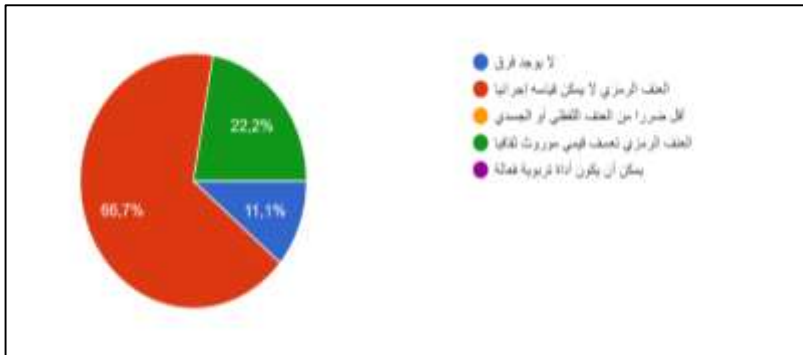
التمثيل البياني 1: دائرة نسبية توضح إدراك المبحوثين لمفهوم العنف الرمزي

يتضح من خلال التمثيل البياني أعلاه، أن حوالي 44% من المبحوثين يعتبرون العنف الرمزي على أنه " ميل عدواني ذو بعد نفسي" بينما يعتقد 22% منهم أن العنف الرمزي هو عبارة عن مجموعة من "السلوكات المنحرفة التي تصدر عن المتعلم" فيما 11% منهم يعتقدون -وبنسب متساوية- أن العنف الرمزي هو " شكل من أشكال ضغوطات العمل التي يعانيها المعلم" و " تصورات مغلوطّة عن التعليم والمدرسة" و "عنف غير ملموس ولا يحتاج للقوة العلنية".

يتضح من خلال استقراء النتائج السابقة، أن القائم بالاتصال في العملية البيداغوجية لا يمتلك الفهم اللازم لظاهرة العنف الرمزي في الوسط المدرسي، حيث يبدو من إجابات المبحوثين أن هناك خلط واضح بين العنف الرمزي وبين غيره من مظاهر العنف المدرسي.

2. الفرق بين العنف الرمزي وبقية أشكال العنف الأخرى في الوسط المدرسي

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form

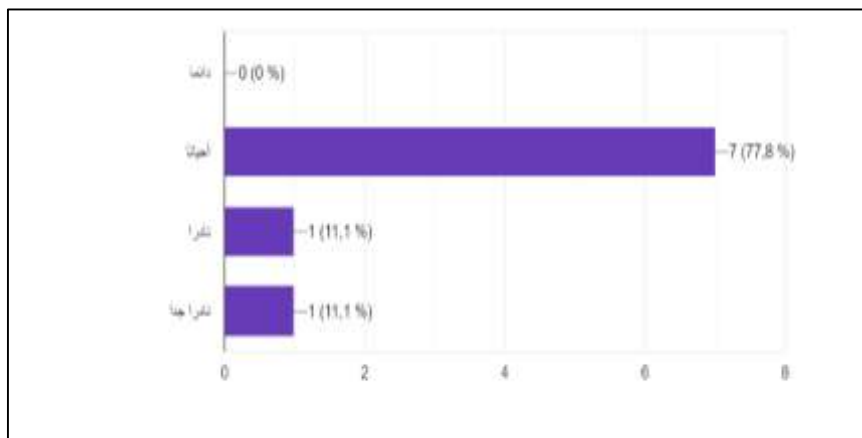


التمثيل البياني 2: تفريق المبحوثين بين العنف الرمزي وبقية أنماط العنف المدرسي الأخرى

انطلاقاً من النتائج الموضحة في التمثيل البياني السابق، نجد أن 66% من أفراد العينة يحددون الفرق بين العنف الرمزي وبقية أنماط العنف المدرسي من حيث كون " العنف الرمزي لا يمكن قياسه إحصائياً" في حين أن 22% يعتبرون أن الفرق هو " العنف الرمزي تعسف قيمي موروث ثقافياً" في حين أن 11% منهم يعتقدون أنه " لا يوجد فرق".

3. أشكال العنف الرمزي خلال التواصل البيداغوجي:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 3: معدلات التعرض للعنف الرمزي

يتبين من خلال استقراء نتائج التمثيل البياني أعلاه والذي نحاول من خلاله الكشف عن مدى وجود وضعيات عنف رمزي يتعرض لها المبحوثين خلال الأداء المهني، أن هؤلاء يمكنهم تحديد ممارسة العنف الرمزي عند حدوثها، مما يعني أن أفراد العينة قادرين على الوعي بحالات العنف الرمزي التي تحدث في السياق الاتصالي الذين يتواجدون به.

وقد أفاد 79% من المبحوثين أنهم يعترضون لحالات عنف رمزي "أحيانا" بينما 11% منهم حددوا بأنهم يتعرضون للعنف الرمزي "نادرا" و"نادرا جدا" بنسبة متساوية.

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 4: أشكال العنف الرمزي

تشير النتائج المبينة في الدائرة النسبية السابقة إلى أن 22% من أفراد العينة يرون أن الإنكار القيمي هو من بين أنماط العنف الرمزي الأكثر شيوعا في الوسط المدرسي ويقصد بالإنكار القيمي هنا: رفض الإقرار بقدرات ومهارات الأفراد؛ وذلك من أجل السيطرة عليهم وتحديد قدراتهم وكبت طاقاتهم ومواهبهم التي يتمتعون بها.

وفي السياق ذاته، يقر حوالي 22% من أفراد العينة قيد الدراسة أيضا أن العنف الرمزي الذي تعرضوا له تمثل في "إشعار التلميذ بالفشل". والذي يعتبر من بين أنماط العنف الرمزي الصادرة من المعلم نحو المتعلم.

فيما نجد أن نسبة 11% جاءت لكل الفئات التالية: الاستلاب النفسي، التعبير العدائي المعلن، العقاب الجماعي، نظرات الازدراء والاحتقار والتبخيس.

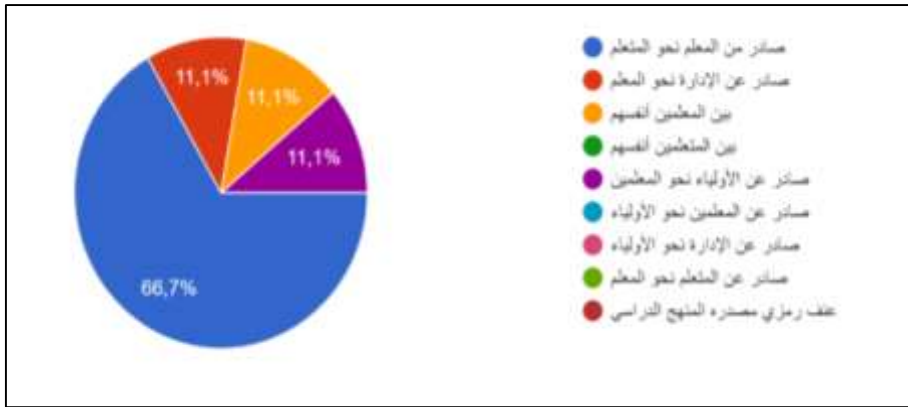
يعتبر الاستلاب النفسي -إجرائيا- مؤشرا لقياس البعد النفسي للعنف الرمزي، وينقصد به سلب حقوق الأفراد وما يتمتعون به من امتيازات اجتماعية ومهنية مشروعة، فضلا عن حرمانهم من فرصة التعبير عن أفكارهم وآرائهم واتجاهاتهم الخاصة، مثلا عند منع المعلم التلميذ من التعبير عن رأيه وعدم السماح له بالمعارضة أو الرفض، الأمر الذي يمكن إرجاعه إلى الأسلوب السلطوي الذي يعتمد عليه المعلم في الاتصال بالمتعلم.

أما التبخيس **Euphémisme** فنقصده به: التقليل من شأن الآخرين، وهو نمط سلوكي قائم على التعالي والتمييز، والتقليل من قيمة وشأن الأفراد الآخرين أو ممن هم أقل مكانة، والازدراء والتصغير والإبعاد الاجتماعي والمهني. وقد نهانا القرآن الكريم عن هذا الشكل من أشكال العنف الرمزي في عدة مواضع واعتبره من أشد أنواع الفساد الاجتماعي، حيث جاء في الآية الكريمة "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" سورة الشعراء الآية 183.

وتتفق نتائج الدراسة هنا مع ما أشار إليه بدير بورديو حيث قال إن العنف الرمزي يظهر بصورة غير مباشرة من خلال ما يحمله من رموز وإشارات عدوانية مبطنة بمشاعر التبخيس والاستهزاء والكراهية. (عايد، 2012، صفحة 344)

4. مستويات العنف الرمزي في التواصل البيداغوجي:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على *google form*



التمثيل البياني 5: مستويات العنف الرمزي

يعتبر أفراد العينة أن أبرز مستويات العنف الرمزي في الاتصال البيداغوجي في المدرسة الجزائرية، صادرة من المعلم نحو المتعلم بنسبة قدرها 66%.

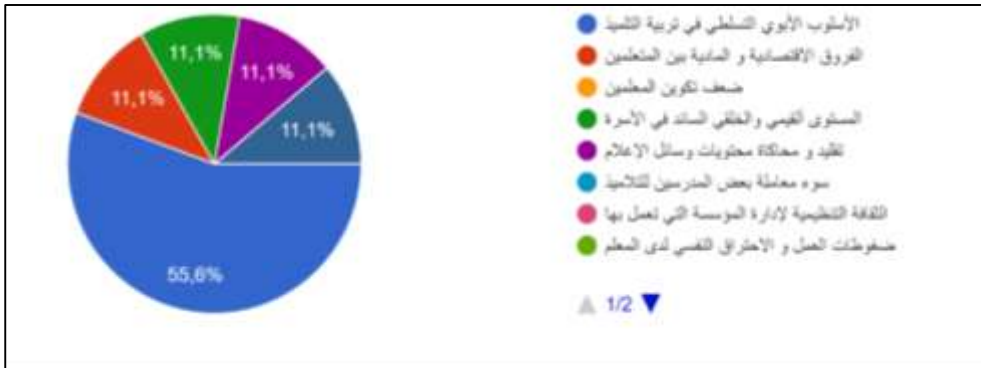
إن المعلم الذي يعتمد على العنف أيا كان نوعه و خاصة العنف الرمزي، هو شخص غير مؤهل لاستخدام الأساليب التربوية الملائمة نفسيا لخصائص التلميذ

حسب كل مرحلة عمرية وحسب كل طور تعليمي، يكرس العنف الرمزي في الوسط المدرسي ويشوه البنية النفسية للتلميذ الذي يشعر بالمهانة والإحباط، فيكره المعلم وقد يرد عليه بالمثل وبكلمات أشد عنفا، وأساليب مثل هذه من المعلمين لا تساعد التلميذ على تجاوز معاناته، خاصة إذا تعلق الأمر بالدروس وعدم فهمها، فالتلميذ الذي يتأثر بالمعاملة الاستبدادية، لا يقبل استبداد وتسلط المعلم، وكل ذلك يؤكد وضوح أهمية التأهل التربوي والعلمي المعلم قبل اتصاله بالتلاميذ. (العيد، 2013، الصفحات 149-150)

فالعنف الذي يمارسه المعلم على تلاميذه مهما كان نوعه، لن يقف عند حدود إذعان التلميذ له سمعا وطاعة، فلا بد أف يدرك المعلم أن الإذعان الظاهري مؤقت، يحمل بين طياته كراهية، ورفضاً لكن ما يمثله هذا المعلم، وينشر ليكون رأيا عاما مضادا له بين تلاميذ الصف، وربما تلاميذ المدرسة، ومن المحتمل جدا أن يصل إلى درجة العنف المضاد سواء المباشر أو غير المباشر، ونظرا لأن المعلم هو القائد والقُدوة، فلا بد أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتقه. (الصريرة، 2009، صفحة 142)

5. أسباب العنف الرمزي في المدرسة:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 6: أسباب العنف الرمزي

تشير النتائج المسجلة في التمثيل البياني أعلاه أن 56% من أفراد العينة يرون أن " الأسلوب التربوي التسلطي في تربية التلميذ" يقع على رأس قائمة الأسباب المؤدية إلى حدوث عنف رمزي في عملية الاتصال البيداغوجي ضمن المدرسة الجزائرية. مما يعني أن العوامل الأسرية من بين أهم مسببات العنف الرمزي في الوسط المدرسي.

ويقصد بالعوامل الأسرية: البيئة التي ترعرع فيها التلميذ وطبيعتها، وقد تكون هذه البيئة مساهمة في تنمية السلوك العنيف عند أفرادها.

فالأُسرة تعتبر أول مؤسسة للتنشئة الاجتماعية، ولذلك فإن السمات والبصمات الأولى لشخصية الفرد تتكون في المحيط الأسري، بالتالي فالجو الأسري يساهم إلى حد كبير في توجيه سلوكيات الفرد.

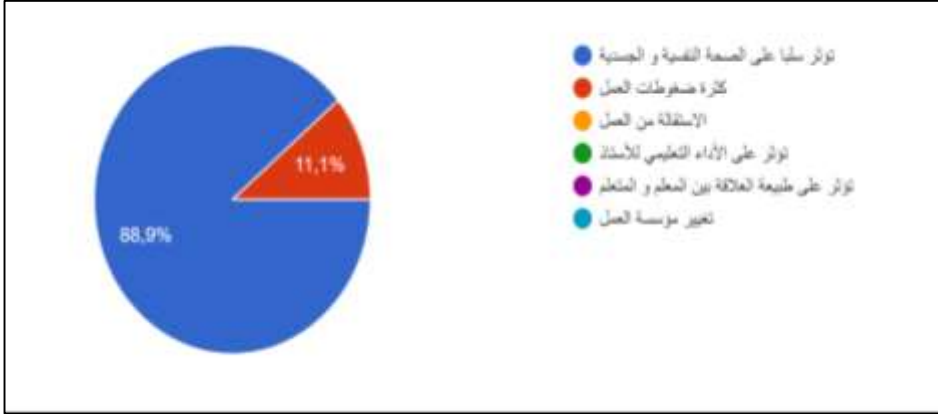
ومن بين المشكلات التي تعاني منها الأسر الجزائرية العنف الرمزي، حيث يعتبر من أخطر أنواع العنف لكونه خفيا وغير محسوس يمارس على أحد أو كل أفراد الأسرة ويتخذ عدة أشكال كالإكراه والإهمال والاحتقار الحرمان.

نقصد هنا بالاتجاه الأبوي التسلطي في التربية: أسلوب تربوي يتمثل في فرض أحد الوالدين رأيه على الطفل، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغباته التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين لتحقيق رغباته حتى ولو كانت مشروعة، وقد يتخذ الوالدان أساليب التهديد أو الحرمان وغيرها.

6. النتائج المترتبة عن ممارسات العنف الرمزي خلال التواصل البيداغوجي في المدرسة:

أ. على المعلم:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 7: نتائج العنف الرمزي على المعلم

يقر 89% من المبحوثين أن أهم تبعات العنف الرمزي في الوسط المدرسي على المعلم هو «التأثير السلبي على الصحة النفسية والجسدية»

يشمل هذا التأثير السلبي الأمراض النفسية والجسدية التي قد يتعرض لها المعلم نتيجة التعرض لممارسات عنف رمزي سواء من الإدارة أو الأولياء أو حتى من طرف التلاميذ خصوصا في طور المتوسط والثانوي.

وربما تزيد احتمالية إصابة المعلمين بهذا النوع من الأمراض، في حالتين:

- الأول صغر سن الأستاذ وقربه من الفئة العمرية التي ينتهي إليها التلميذ المقرون بحدانة الخبرة المهنية.

- كبر سن الأستاذ رغم الخبرة المهنية بحث يصبح غير قادر على ضبط الصف والتحكم في سيرورة العملية التعليمية.

ب. على التلميذ:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 8: نتائج العنف الرمزي على التلميذ

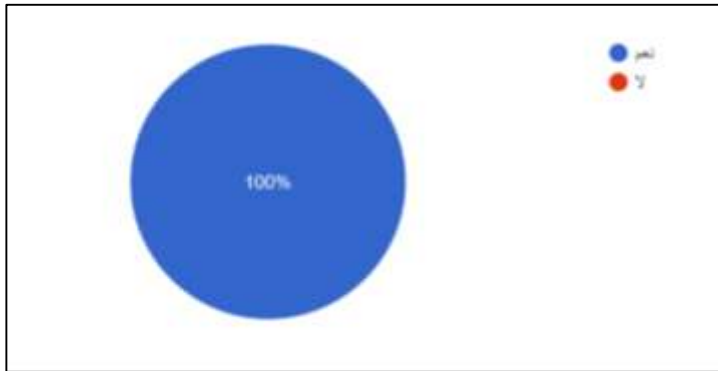
فيما يعتقد 33% من هؤلاء أن نتائج العنف الرمزي في الوسط المدرسي على التلميذ، هو تأثير سلبي نزوعي أي سلوكي، حيث تعرض التلميذ للعنف الرمزي يجعله يتبنى ردة فعل عنيفة مادية تمس العتاد المدرسي والوسائل التعليمية بالتخريب والتكسير.

وبنفس النسبة المئوية 33% يعتقد أفراد العينة أن نتائج العنف الرمزي في الوسط المدرسي على التلميذ تتمثل في تأثيرات سلبية نفسية، يمكن تحديدها في غرس شعور الكراهية والرغبة في الانتقام لديه.

وعليه يمكن القول، أن مفعول العنف الرمزي أشد تأثيرا من أي عنف آخر لأنه يمس قناعات الفرد ومعتقداته، ووجوده الفكري والثقافي، وهويته الاجتماعية، وقد لا يدركه المرء بشكل مباشر، بل يساهم فيه بإرادته ورغبته ولا وعيه، بحيث يصبح وقعا مسلما به لا يمكن التخلص منه. (أمشنوك، 2019، الصفحات 112-113)

8. الأساليب التي يتبعها المعلم لمكافحة ظاهرة العنف الرمزي في المجال المدرسي:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 9: اتخاذ المعلم إجراءات لمواجهة العنف الرمزي

نلاحظ من خلال نتائج الدائرة النسبية أعلاه، إجماع المبحوثين على إجابتهم على سؤال الاستبيان المتعلق بما إذا كان المعلم يتخذ إجراءات لمواجهة العنف الرمزي أم لا؟ حيث أجاب كل أفراد العينة بـ "نعم".

وتمثل الدائرة النسبية في الأسفل، أهم الأساليب التي يعتمد عليها هؤلاء في الحد من ممارسة العنف الرمزي في الوسط المدرسي:

المصدر: رابط إجابات المبحوثين على google form



التمثيل البياني 10: اتخاذ المعلم إجراءات لمواجهة العنف الرمزي

تشير النتائج المبينة، على أن 67% من أفراد العينة يعتمدون أسلوب "توعية وإرشاد التلاميذ حول ظاهرة العنف الرمزي" من خلال تعريف التلميذ بمفهوم العنف الرمزي وتحسيسه بخطورة هذا النمط من العنف وتلقينه بعض أساليب التصدي والمواجهة. بينما 22% منهم يعتمدون أسلوب "التواصل الدائم مع أولياء التلاميذ وإدماجهم في العملية التعليمية" من خلال تبليغ الأولياء بكل حالات العنف التي قد يمارسها أو يتعرض لها التلميذ بما في ذلك العنف الرمزي ومحاولة تفعيل دور الأسرة في تفادي ومواجهة العنف الرمزي في الوسط المدرسي.

في حين 11% من هؤلاء فقط، من صرحوا بأنهم يشعرون الطب المدرسي بحالات التلاميذ الذين يرتكبون أو يتعرضون لأي مظهر من مظاهر العنف الرمزي، سواء المتعلق بالصحة البدنية أو الصحة النفسية من خلال زيارات الرقابة الدورية التي يقومون بها وربطها بالمتابعة المستمرة في المراكز الطبية المعنية.

IV- نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، تمكنا من الإجابة عن التساؤلات الفرعية للدراسة، نعرضها في العناصر التالية:

1. عدم وجود فهم معمق ومتكامل لدى المبحوثين حول العنف الرمزي، حيث يعرف هؤلاء العنف الرمزي بناء على آرائهم الشخصية وتصوراتهم الذاتية وليس بناء عن مرجعية علمية وهذا ما يفسر عدم قدرة هؤلاء على التفريق -كما يجب- بينه وبين مظاهر العنف المدرسي الأخرى.
2. يدرك المبحوثين "أحيانا" أنهم أمام وضعيات اتصالية تمارس فيها بعض السلوكيات المرتبطة بالعنف الرمزي، مما يعني أنهم غير قادرين على تحديدها دائما، وربما يفسر ذلك بالنظر إلى طبيعة العنف الرمزي ذاتها والتي تجعله يمارس بنوع من اللاوعي المشترك بين كل من القائم بالاتصال والمتلقي.
3. يعتبر المبحوثين أن الإنكار القيمي وتحسيس التلميذ بالفشل، تعد من أبرز مظاهر العنف الرمزي في الوسط المدرسي.

4. يرى أفراد العينة، أن أبرز مستويات العنف الرمزي في الوسط المدرسي هو العنف الرمزي الصادر من المعلم نحو المتعلم.
5. يرجع أفراد العينة، مسببات العنف الرمزي في الوسط المدرسي إلى العوامل الأسرية المرتبطة بالأسلوب الأبوي المتسلط في تربية التلميذ.
6. نتائج العنف الرمزي في الوسط المدرسي -وفقا لإجابات المبحوثين- على المعلم في الأمراض النفسية والبدنية.
7. نتائج العنف الرمزي في المجال المدرسي على التلميذ -وفقا لإجابات المبحوثين- يتخذ بعدين أساسين الأول بعد نفسي وجداني والثاني بعد سلوكي نزوعي.
8. يعتمد أفراد العينة على أساليب محددة في مواجهة العنف الرمزي في المجال المدرسي أهمها: توعية التلميذ وإشراك الأسرة في التصدي للمشكلات المرتبطة بالظاهرة.

خاتمة

تناولنا في هذه المداخلة إشكالية متعلقة بالعنف الرمزي في المدرسة الجزائرية، وحاولنا الكشف عن أسبابها ونتائجها واقتراح بعض الحلول لمواجهتها.

حيث أشرنا إلى أن المدرسة هي في الأساس مؤسسة تربوية تعليمية تنشط في إطار منظومة تربوية تحكمها مجموعة من الأطر القانونية التي تسيّر طبيعة العلاقة بين جميع الفواعل التربويين بما يسمح بتحقيق الأهداف الموكلة على عاتق المدرسة تجاه المجتمع.

وأن استفحال ظاهرة العنف ضمن هذا المجال قد يحول دون ذلك وخاصة العنف الرمزي باعتباره أحد أنماط العنف التي تمارس ضمن جملة من الموروثات الثقافية التي تطبع هذا النوع من الممارسات بالتالي فهو عنف يمارس بنوع من اللاوعي ولا يمكن قياسه كما ذكرنا سابقا عليا أو إجرائيا لأنه عنف غير ملموس يؤثر بشكل كبير على الجوانب النفسية للتركيبية السيكلولوجية للفرد خاصة الطفل.

ونؤكد في ختام هذه المداخلة على ضرورة تسليط الضوء على هذه الظاهرة، وإعطائها مزيداً من الأهمية في النقاشات العلمية والبيداغوجية وتأطيرها قانونياً إن لزم الأمر.

خلصت دراستنا إلى مجموعة من التوصيات، نذكرها فيما يلي:

1. ضرورة الاهتمام بظاهرة العنف الرمزي في الوسط المدرسي، وتدريب الفاعلين التربويين على تحديده ومعالجته.
2. توعية التلاميذ والأولياء بأسباب والنتائج النفسية والتربوية والسلوكية والبيداغوجية السلبية لهذا النمط من العنف وآليات مواجهتها والحد من تأثيراتها.
3. تفعيل دور مؤسسات الرعاية الصحية والنفسية التابعة للقطاع المدرسي الذي يحتوي على عدد من الاختصاصيين في مجال علماء النفس والصحة النفسية والخدمة الاجتماعية، لمتابعة ومساعدة الأطفال الذين يعانون من مشكلات متعلقة بالعنف أياً كان نوعه، وحل المشكلات السلوكية والنفسية المترتبة عنه .

الإحالات والمراجع:

1. Bourdieu, P. (1980). *Le sens pratique*. Paris : Minuit. Récupéré sur <https://journals.openedition.org/traces/2773?file=1>
2. Michaud, Y. (1988). *La violence*. Paris : Edition que sais-je.
3. الزاهد مصطفى. (25 03, 2011). *بيير بورديو وإعادة الانتاج في حقل التربية*. تم الاسترداد من مدونات ايلاف: <http://elaphblogs.com/post/%D8%A8%D9%8A%D9%8A%D8%B1%20%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D9%88%20%D9%88%D8%A5%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%A7%D8%AC%20%D9%81%D9%8A%20%D8%AD%D9%82%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9>
4. بلقزيز، عبد الإله. (31 05, 1996). *العنف السياسي في الوطن العربي. المستقبل العربي*, المجلد 19 (العدد 207)، الصفحات 68-85. تم الاسترداد من <https://search.emarefa.net/detail/BIM-206406>

5. عباس أبو شامة المحمود، ومحمد الأمين البشير. (2005). *العنف الأسري في ظل العولمة*. الرياض: مركز الدراسات والبحوث.
6. عبد الله محمد النيرب. (2008). *العوامل النفسية والاجتماعية المسؤولة عن العنف المدرسي في المرحلة الإعدادية كما يدركها المعلمون في قطاع غزة*. (مذكرة ماجستير). فلسطين: الجامعة الإسلامية. تم الاسترداد من <https://search.emarefa.net/detail/BIM-299350>
7. علي بالنوح بن عبد الرحمن الشهري. (2008-2009). *العنف لدى طلاب المرحلة المتوسطة في ضوء بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية*. رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي. مصر: جامعة أم القرى.
8. علي أسعد وطفة. (12 سبتمبر، 2022). *بيداغوجيا الرمز والعنف الرمزي في منظور بوير بورديو*. تم الاسترداد من وطفة. نت: <https://watfa.net/archives/11386>
9. علي حسين عايد. (2012). *العنف الرمزي المدرك وعلاقته بالعجز المتعلم لدى طلب الجامعة، كلية الآداب*. مجلة مركز الدراسات جامعة القادسية (العدد 41).
10. لعبيدي العبد. (2013). *العنف المدرسي "عنف في المدرسة /م/ عنف المدرسة "*. الجزائر: دار الأمل للنشر والتوزيع.
11. محمد سعيد الخولي. (2008). *العنف في موافق الحياة اليومية – نطاقات وتفاعلات*. تأليف سلسلة قضايا العنف / القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
12. هادي نعمان الهيتي. (24 فيفري، 1983). *ملاحظات حول حدود استخدام مناهج وطرق وأدوات البحث العلمي في بحوث الإذاعة والتلفزيون في الوطن العربي*. شؤون عربية، الصفحات 4-14.
13. وفاء عشي وسهام المزاوي. (2010). *علاقة الأسرة بالعنف المدرسي، دراسة ميدانية لمتوسطة قنر الكبلوتي بوخضرة*. جامعة تبسة: مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس LMD علم اجتماع البشرية.